المختار
من كلام الأخيار

تأليف

السيد محمد بن علوي المالكي الحسني
١٣٦٥هـ - ١٤٢٥هـ
رحمه الله تعالى

عني به

السيد أحمد بن محمد علوي المالكي

الطبعة الثانية
١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

* * *

جميع الحقوق محفوظة
لورثة المؤلف رحمه الله تعالىٰ

الطبعة الثانية
١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

الحمدُ للهِ الذي أعَزَّ أَهْلَ طاعَتِه بعبادَتِه، وأسعَدَهُمْ بعنايَتِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ الحَبيبِ المَحبوبِ، البَشيرِ النَّذيرِ والسِّراجِ المُنيرِ، سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعلىٰ آلِـهِ وصَحبِـهِ أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ: فإنَّ للصَّالحينَ والأَئِمَّةِ العارفينَ أقوالاً وعِباراتٍ هي جُندٌ من جُنودِ ٱللهِ، يَفتَحُ ٱللهُ بها قُلوبَ من يَشاءُ من عِبادِه، أخبارٌ وعِباراتٌ عند ذِكْرِها تَتنـزَّلُ الرَّحماتُ، وتُزيلُ عن القَلبِ القَسوةَ، وعن السَّالِكِ الغَفْلَةَ، أقوالٌ نَوَّرَ ٱللهُ بها أَلْسِنَتَهُمْ، وأَفاضَ بها علىٰ قُلوبِهِمْ، أَوْصَلَهُمُ الحَقُّ سُبحانَهُ وتعالىٰ إلىٰ العلياءِ، فَباهىٰ بِهِمْ أَهلَ الأَرْضِ والسَّماء.

نَصائحُ وإرشاداتٌ تَحْمِلُ في طَيَّاتِها الكثيرَ من عِلاجِ عِلَلِ القُلوبِ وأَدواءِ الأَبدانِ، لأَنَّهُمْ مَصابيحُ الهُدىٰ وأَئِمَّةُ السُّلوكِ، حَفِظوا حُدودَ ٱللهِ فَحَفِظَ ٱللهُ عليهم دِينَهُمْ، أَخْلَصُوا عَمَلَهُمْ فَسَدَّدَ ٱللهُ لَهُمْ قَوْلَهُمْ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾.

وقـد دَأَبَ أهلُ العِلْمِ والتَربيةِ علىٰ جَمْعِ أقوالِهِـمُ المَشهـورةِ، وعباراتِهِـمُ المَنثورَةِ؛ ترغيباً في الخَيرِ وإرشاداً لفضائلِ الأخلاقِ.

ومن هؤلاءِ الرِّجالِ: سَيِّدِي الوالد السيد محمد بن علوي المالكـي ـ رحمه ٱلله، ونَوَّرَ ضريحَهُ ـ الذي جَمَعَ في هٰذا الكتابِ المبارَكِ نُقولاً فَريـدةً، وأقوالاً نفيسة، لكوكَبَةٍ من صالحي الأُمَّةِ ومُرَبِّيها وأئمَّتِها وعارفيها، من باب الحَثِّ علىٰ الاستباق إلىٰ مدارج الأخيار، والتَّرغيبِ في التَّشَبُّهِ بهؤلاءِ الأطهار، كما قال القائل:

فَتَشَبَّهُـوا إن لَـمْ تَـكُـونـوا مِثْلَهُـمْ ... إنَّ ٱلتَّشَبُّـهَ بـالكِـرامِ فَـلاحُ

* * *

حِكَمٌ وعِبَـرٌ تَنفُذُ إلىٰ أعماقِ القَلْبِ فيُشْرِقُ نورُها إلىٰ الجوارح، فتستقيمُ علىٰ طاعة ٱلله، وهَدْيِ رَسُولِه ﷺ، وفِعْلِ السَّلَفِ الصَّالحِ.

إنَّ الوالدَ الشَّفوقَ والمُربيَ النَّاصِحَ والمُرشدَ الغَيورَ؛ يَسْلُكُ مع أبنائه

وطلابِه كُلَّ الوَسائِلِ التي من شأنها تحصيلُ الفضائِلِ وترسيخُها، ونيلُ الخيراتِ وتعزيزُها.

ومن هٰذِه الأساليبِ: الاستبصارُ بنصائح الأخيار، والتي تساقُ لتأكيد مبدءٍ نبيل، أو أصلٍ شرعي، أو خُلقٍ فاضل، أو إبطالِ خُلُقٍ دنيء، أو منهج مقبوح.

ولا شَكَّ أن هٰذا المُصَنَّفَ يَخْتَلِفُ عن غَيْرِهِ من مُصنفاتِه ـ رحمه ٱلله ـ شَكْلاً ومضموناً، والتي تَنوَّعَتْ ما بين كُتبِ العقيدةِ والحديثِ والأُصولِ والسِّيرَةِ والتَّراجُم والأسانيدِ ما بين تأليفٍ وتحقيق، ليأتي هٰذا المختارُ من أقوال العلماءِ ودُرَرِ الأصفياء فينضمَّ إلىٰ كوكبة المُصَنَّفاتِ المُؤلَّفة، ويَنْتَظِمَ في عِقْدٍ فَريدٍ في المكتبة.

وقد عَمَدْنا إلىٰ النُسخة القديمة لهٰذا الكتاب ـ والتي طُبِعَتْ للمَرَّةِ الوحيدة سنة أربعمئة وألف من الهجرة المباركة، والتي نشير إليها في حواشي هٰذا الكتاب بـ(الطبعة الأولىٰ) ـ فقُمنا بإعادة طباعتها مرَّةً أخرىٰ، وراعينا فيها هٰذه الأمورَ التالية:

١ ـ تصحيحُ الأخطاءِ اللُّغويَّةِ والمَطبعية.

٢ ـ تحريرُ الأقوالِ والنُّصوص وذلك بالرجوع إلىٰ المصادر المعتمدة.

٣ ـ ضبطُ أسماء الأعلام وذلك بالرجوع إلىٰ كتب التراجم والرجال.

٤ ـ عَزْوُ كُلِّ قولٍ إلىٰ قائله: (فإنَّ بركةَ العلم أن تُضيفَ الشَّيءَ إلىٰ قائله)[1].

٥ ـ زيادةُ بعض التعليقات اللازمة؛ وأشرنا لذلك برمز (ز)، إضافة إلىٰ تعليقات السيد الوالد رحمة ٱلله عليه.

وٱللهَ أسألُ أن ينفعَ بها القارىءَ والسامع، ويُثيبَ بها مِن سابغ فضله لينالوا الخيرَ الدائمَ في الدِّين والدُّنيا والآخرة.

وصَلَّىٰ ٱللهُ علىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعلىٰ آلِه وصَحْبِه وسَلَّم.

السيد أحمد ٱبن السيد محمد بن علوي المالكي
غرة ذي القعدة ١٤٢٧ هـ

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢/ ٨٩).

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

(هٰذا ٱلكتاب)

الحَمْدُ للهِ الذي خَلَعَ علىٰ أوليائِهِ خِلَعَ إنعامِهِ، وٱخْتَصَّهُمْ بِمَحَبَّتِهِ، وأقامَهُمْ في خِدْمَتِهِ، ودعاهم إلىٰ حضرتِهِ، فَظَهَرَتْ مَرَاتِبهُمْ، وفتحَ لهم أبوابَ ٱلقُرْبِ، ورَفَعَ عن قلوبِهِم حِجابَ البُعْدِ، فصارَتْ بَصائِرُهم نَيِّرَةً، وسرائرُهم طاهرة، وقلوبهم مطمئنة، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأُصلي وأسلِّمُ علىٰ أكملِ خَلْقِ ٱللهِ، وأفضلِهِم وأجملهم، وأحبهم إلىٰ ٱلله سيِّدِنا ومولانا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ٱللَّهُمَّ فَصَلِّ وسَلِّمْ عليه وعلىٰ سائرِ الأنبياءِ والمرسلينَ، كُلَّما ذكركَ الذاكرونَ، وغَفَلَ عن ذكركَ ٱلغافلون.

وبعد: فهٰذا كتابٌ جمعنا فيه جملةً من أقوال الصالحينَ وأخبارهم، وهم العاملونَ بالعلم، الزاهدونَ في الدنيا، الراغبون في الآخرة، المُسْتَعِدُّون للنَّقْلَةِ بتحقيق اليقظة والتزود الصالح، يَذْكُرُ لنا هٰذا الكتابُ نُبَذاً من أقوالِهِمُ التي تُصَوِّرُ لنا أخلاقَهُم، ومعاملتَهُم، وسيرتَهم في الدنيا مع خالِقِهم سبحانه وتعالىٰ، ومع أنفُسهم، ومع إخوانهم، لا يذكرها لنتَّخِذَها سُلْوة في مجالسنا، نقضي بها أوقاتنا، نَتَأَثَّرُ بها فَتْرةً ثُمَّ لا نلبثُ أن نرجعَ إلىٰ ما كنا عليه من غفلةٍ وإعراض، بل المرادُ من ذكرها التأسي بأخلاقِهم وٱتِّباعُ هديهم، والسَّيرُ علىٰ منوالهم.

ترىٰ في هٰذا الكتاب نماذجَ مختلفةً من مشارب القوم؛ وسُبُلِهِم في الوصول إلىٰ المعرفة، ولكنها كُلَّها مُتَّفقةٌ في مَقصودها، مُتَّحِدَةٌ في مُرادها، فهي مدارسُ مُتعدِّدَةُ المناهجِ في السلُّوكِ، والمعرفة، والأخلاق، والآداب، والأذكار، والأوراد، والفتح، والكشف، وأسرار النفس.

فمَدْرَسَةُ الحسنِ البصري، وإبراهيمَ بنِ أدهم مثلاً؛ شَقَّتْ طريقَها في المعرفة علىٰ جناحِ من الخوفِ والرهبة، وسَلَكَتْ سبيلها في الحياة، تَمْزُجُ التربيَة والتصفية بالفقهِ والتوحيد، وتجعلُ مكارمَ الأخلاقِ الأساسَ والجوهرَ لِكُلِّ عبادةٍ وطاعة.

ومدرسةُ رابعَةَ العدويةِ، وذى النُّونِ المِصري؛ قامَتْ علىٰ المَحَبَّةِ الإلـٰهيَّة، ثُمَّ ٱبتدعت في سلوكها إلىٰ ٱلله المقاماتِ والأحوالَ وما يترقرقُ بينَهُما من معرفةٍ، وأنـوارٍ، ومواجيدَ، ودَعَتِ الناسَ إلىٰ المَحَبَّةِ، والتَّعاطُفِ، والتَّراحُمِ، وأحالَتِ الكونَ كُلَّهُ إلىٰ الصَّفاءِ والإخاءِ، والبِرِّ الشامِلِ لكل ذي كبد رطبة.

ومدرسةُ الحارثِ المحاسبيِّ قامت علىٰ محاسبةِ النَّفْس وتزكيتها، وعِصْمةِ الجوارحِ وتَطْهيرها، ثُمَّ مَشَتْ إلىٰ الدَّقائِقِ والرَّقائِقِ؛ فأَبْدَعَتْ أَعْظَمَ ما عرفَتِ الدنيا من أَسْرارِ النَّفْسِ، وأَدبِ الحِسِّ، ومُلهماتِ الوُجدان والشُّعور.

وهـٰكذا تنتقل أيها القارئُ بين مـدارسَ ومعـارفَ علميـةٍ وفكريـة وهي كُلُّهـا بمناهِجها وبرامجها وطرقها؛

تمثلُ الأفقَ الأعلىٰ للفكرةِ الإسلامية، والوجهَ الأكملَ لآدابنا ومثالياتنا.

تمثلُ الكمالَ في الإيمانِ، والكمالَ في كل شأنٍ من شُؤون الحياة.

تمثلُ الخُلاصةَ الزَّكيةَ لِكُلِّ دَعوةٍ ربانيَّةٍ: إنَّهُ الصِّدْقُ، والأمانة، والوفاء، والإيثار، والنجدة، والكرم، ونُصرة الضعيف، وإغاثة الملهوف، والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، والتواصي بالحَقِّ والصَّبر، والتسابقُ إلىٰ فعل الخير.

تمثلُ الخلقَ القويمَ الصحيح، خلقَ المؤمن الذي يُستجلىٰ من خلالِ القرآن الكريم، والسُّنَّة المُشرفة، فترىٰ فيه ذٰلك الخلقَ مُجَسَّداً مُصوراً، تراه قوةً في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وشفقةً في محبة، وحلماً في علم، وقصداً في غنىً، وتَجَمُّلاً في فاقة، وتَحَرُّجاً عن طمع، وكَسباً في حلال، وبِرّاً في ٱستقامة، ونشاطاً في هدىٰ، ونهياً عن شهوة، ورحمة للمجهود، إنَّ المؤمنَ من عبادِ ٱلله لا يَظلمُ من يُبغِض، ولا يأثمُ فيمن يُحِبُّ، ولا يُضيِّعُ ما ٱستودِعَ، ولا يَحسِدُ، ولا يطعن، ولا يلعن، ويعترف بالحَقِّ؛ وإن لم يُشْهَدْ عليه، ولا يتنابز بالألقاب، تراه في الصلاةِ مُتَخَشِّعاً، إلىٰ الزكاةِ مُسرعاً، في الزلازل وقـوراً، في الرخـاء شكـوراً، قانعـاً بالـذي لـه، لا يَدَّعـي ما ليس لـه، ولا يَجمعُ في الغيظ، ولا يَغلِبُه الشُّحُ عن معروفٍ يريده، يخالطُ الناسَ كي يعلم، ويناطقُ الناسَ كي يَفهم، إن ظُلِمَ وبُغِيَ عليهِ صَبَرَ؛ حتىٰ يكونَ الرَّحمـٰنُ هو الذي ينتصرُ له،

وبهٰذهِ السِّيرَةِ العاطرة، والخلقِ الزَّكيِّ ظَهَرَت بُطولاتُ الصَّدْرِ الأوَّلِ، رجالُه وأئمَّتُه وأبطالُه، فبرزت لنا الشخصيةُ الإسلاميةُ في أبهىٰ حُلَّةٍ[1]، وأكملِ صِفَةٍ، وأعلىٰ وأطهرِ نموذجٍ، وروىٰ لنا عنها التاريخُ حديثَ المَجْدِ والفَخْرِ، والسِّيادَةِ والعِزَّةِ، والجهادِ والنِّضال، ودُروسَ الحضارَةِ الإسلامية، ومن هُنا نُدْرِكُ بيقينٍ؛ أن النَّهضاتِ الكُبرىٰ لا تُبنىٰ إلاَّ علىٰ رسالاتِ الرُّوحِ، وإلهاماتِ الإيمان، ولا تقومُ إلاَّ علىٰ ٱلأَخلاقِ الصاعدةِ القوية التي تُسْتَمَدُّ مُثُلُها من العقائِدِ المُقَدَّسَة، إنَّ الصِّفاتِ الخلقيةَ والنفسية والروحية هي رأسُ مالِ الشُّعوب، وهي المُدَّخَراتُ العُظمىٰ التي تَصْنعُ الأُمَمَ، وتَدْفَعُ بالرَّكْبِ البَشري إلىٰ غاياتِه العُليا.

والناظرُ في سِيَرِ السَّلفِ والصالحينَ، والساداتِ العارفينَ من القوم يَرىٰ كيفَ أن هٰذه المُثُلَ والمَبادىءَ كانت سَبباً مُباشِراً لانتفاضاتٍ صريحةٍ مشهودة مشهورة في التاريخ الإسلامي، ولم يكن لهم من النُفوذِ والقُوَّةِ إلا إيمانٌ هو من أعلىٰ صورِ الإيمان، إيمانٌ حارٌّ مُتَّقِدٌ حَيٌّ يرتكزُ علىٰ الشوقِ والمحبة، إنه إيمانٌ يُطلِقُ في قلوب أتباعِه الشُّعلةَ المُتوَجِّهَةَ المُتَطَلِّعَة دائماً إلىٰ ٱلله، يرىٰ أن الرجلَ منهم يعيش دائماً في مقامِ الإحسان؛ يرىٰ ٱلله في كُلِّ شيء، ويراقبُه في كُلِّ حركةٍ من حركاته، بل يراقبُه مع كُلِّ نَفَسٍ من أنفاسه، إنه إيمانٌ يَبعثُ اليَقَظةَ الشاملةَ في الحياة، ويُضفي عليها الإحساسَ العميقَ بالربانيةِ السارية في الكون، والتي تعيشُ في أعماقنا، وتعلمُ خواطرَ القلب، وهَمساتِ النجوىٰ، وخائنةَ الأعين، وما تخفي الصدور.

وهٰكذا يَعرِضُ لك هٰذا الكتابُ ـ أيها القارىء ـ شمائلَ نبيلةً وخطوطاً عريضةً من الإنسانيةِ الرفيعةِ، والأخلاق الفاضلة، والشجاعة العالية هي ما نحتاجُ إليه اليومَ وغداً في نضالِنا، وصراعنا، وجهادنا لبناء أُمَّتنا، وإعدادها لدورها التاريخيِّ الذي كانت من قبلُ قائمةً به، ولا شَكَّ أنَّ تَخلُّفَنا وتأخُّرَنا عن القيامِ بدورنا الذي هو لنا؛ كانَ من أهم أسبابه: الجهلُ

---

(١) الحُلَّة: إزارٌ ورِداءٌ، ولا تُسَمَّىٰ حُلَّة حتىٰ تكون ثَوْبَين. (ز)

برجالِ تاريخنا، وسِيَرِهم، وأخبارِهم مما أوجد جَفْوةً مُفتعلةً بين الحاضر والماضي، فٱنقطعَ الذي بيننا وبينهم من مَدَدٍ وخير.

فيجبُ أن نحميَ شبابنا، ونُزَوِّدَهُم بالإيمان، ونُحَصِّنَهُم بالأخلاقِ ونُحَلِّيَهُم ونُكَمِّلَهُم بالرُّوحِ والمثاليات والفضائل، ونَصِلَ حاضِرَهُمْ بماضِيهم، ونَربِطَهُم بسيرةِ أجدادِهم وسَلَفِهِمُ الصالح، وبذٰلك يُوَلِّي الإلحادُ مُدبراً مُنهزماً، لأنَّ كُلَّ صفةٍ عاليةٍ ربانيَّةٍ لا تَنبعِثُ من الإلحادِ، ولا تأتي من أُفُقِ الانحلال.

يَجِبُ أن يَشِعَّ الرُّوحُ المُؤمنُ الطاهر القوي في حياتنا ووجودنا، وأن نجعلَهُ مادة في معاهدنا ومدارسنا، ونُوْراً في صُحُفنا وكُتبنا وإذاعاتنا مُهَذَّباً مُنَقَّحاً مُصَحَّحاً مُصَفّى، حينئذٍ نَظفرُ برضوانِ ٱلله وسيادَةِ الحياة، وتَمْتَلِىءُ أيدينا بعزَّةِ المؤمنين، ويتحققُ فينا قَولُ رَبِّنا سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

ونَسْتَخْلِصُ من هذه الدراسةِ قواعدَ وأصولاً هي الأُسسُ التي وَصَلَ بها القَوْمُ وٱتَّصَلُوا بِمَنابع الخَيْر والفلاح:

الأصل الأول: فَضْلُ أولياء ٱلله وشرفهُم وما مَيَّزَهُمُ ٱللهُ به من مِنَحٍ ومزايا.

الأصل الثاني: فَضْلُ ذِكْرِ ٱلله الذي هو مَرْكَبُ الهدايـة وأُسُّ الولاية.

الأصل الثالث: آدابُ الأُخوَّةِ في ٱلله.

الأصل الرابع: دعوىٰ أئمةِ الصوفية إلىٰ متابعةِ الكتابِ والسُّنَّة وٱعتبارِهما في الأقوالِ والأفعال، بل وحركاتِ النَّفْسِ وخواطرها.

وسَنتَكَلَّمُ عن كُلِّ أَصلٍ بما يُناسِبُ المَقامَ، وٱلله ولي التوفيق.

محمد علوي

* * *

(فضل الأولياء)

عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه قال: قال رسول ٱلله ﷺ: إن ٱلله تعالىٰ يقول: «مَن عادىٰ لي وَليّاً فقد آذَنتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إليَّ عَبْـدي بشَيءٍ أَحَبَّ إليَّ مِمَّا ٱفْتَرَضْتُ عَلَيهِ، وما يَزالُ عَبْدِي يَتقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّىٰ أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُـهُ؛ كُنتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ التي يَمْشِي بها، وإنْ سَألَني لأُعْطِيَنَّـهُ، ولَئِنِ ٱسْتَعاذَني لأُعِيذَنَّـهُ، وما تَرَدَّدْتُ[1] عن شيء أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ يَكرَهُ المَوْتَ وأنا أَكْرَهُ مَساءَتَـهُ»[2].

وعن أنس رضي ٱلله عنه عن النَّبيِّ -ﷺ- عن جبريلَ -عليه السلام- عن رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قال: «مَن أَهانَ لي وَليّاً فقد بارَزني بالمُحاربة، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعلُه ما ترددتُ في قبضِ نَفْسِ المؤمن أكرهُ مساءَتَهُ ولا بُدَّ له منه، وإن من عبادي المؤمنينَ من يُريدُ باباً من العبـادَةِ فأكُفُّهُ عنهُ لِئَلاَّ يَدْخُلَهُ عُجْبٌ فيفسده ذلك، وما تَقَرَّب إليَّ عبدي بمثلِ أداءِ ما ٱفترضتُ عليه، وما يزالُ عبدي يَتنفَّلُ حتىٰ أُحبّه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً، دعاني فأجبتُه، وسألني فأعطيته، ونصح لي فنصحت له، وإن من عبادي المؤمنين من لا يُصلحُ إيمانَهُ إلاَّ الفقرُ؛ وإن بَسَطتُ له أفسَدَهُ ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يُصلحُ إيمانَهُ إلا الغنىٰ؛ ولو أفقرتُه لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يُصلحُ إيمانَهُ إلا الصِّحَّة؛ ولو أسقمتُه لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين من لا يُصلحُ إيمانَهُ إلا السَّقمُ؛ ولو أصححتُه لأفسده ذلك، إني أُدَبِّر عبادي بما في قُلوبِهِمْ إنِّي عَليمٌ خبير»[3].

---

(١) وقوله: وما ترددت إلخ: التردد محال علىٰ ٱلله سبحانه، فالمراد: ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترديدي إياهم في نفس المؤمن؛ كما في قصة الكليم عليه السلام، وأضاف سبحانه ذلك إلىٰ نفسه لأن تَرَدُّدَهم عن أمره.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق باب التواضع حديث (٦٥٠٢) مع الاختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣١٨) عن أنس، والطبراني مختصراً في الأوسط (١/ ٣٦٠)(٣١٦) (ز).

وفي روايةٍ: «وإني لأسرعُ شيءٍ إلىٰ نُصرةِ أوليائي إني لأغضبُ لهم أشَدَّ من غضب اللَّيثِ الحَربِ»[1].

وعنه قال رضي ٱلله عنه: قال رسول ٱلله ﷺ: «إنَّ مِن عِبادِ ٱللهِ مَن لَو أَقْسَمَ علىٰ ٱللهِ لأَبَرَّهُ»[2].

وعن عطاء بن يسار قال: قال موسىٰ عليه السلام: يا رَبِّ من أَهْلُك الذين هم أهلُك الذين تُظِلُّهُم في ظِلِّ عرشك؟ قال: «هُمُ البريئةُ أيديهم، الطاهرةُ قلوبهم، الذين يتحابون بجلالي، الذين إذا ذُكِرْتُ ذُكِروا بي، وإذا ذُكِرُوا ذُكِرْتُ بذكرهم، الذين يسبغونَ الوضوءَ في المكاره، وينيبونَ[3] إلىٰ ذكري كما تنيب النسور إلىٰ أوكارها، ويَكْلَفُونَ[4] بحبي كما يكلف الصبي بحُبِّ الناس، ويغضبونَ لمحارمي إذا ٱسْتُحِلَّتْ كما يغضب النمر إذا حرب»[5].

وقال وهب رحمة ٱلله تعالىٰ عليه: لما بَعَثَ ٱلله عز وجل موسىٰ وأخاهُ هارونَ إلىٰ فرعونَ قال: «لا تُعْجِبَنَّكُما زينَتُه ولا ما مُتِّعَ بِه، ولا تَمدا إلىٰ ذلك أعيُنَكما؛ فإنها زهرةُ الحياة الدنيا وزينةُ المترفين، ولو شئتُ أن أزينَكما بزينةٍ من الدنيا يعلمُ فرعونُ حين ينظرُ إليها أن مقدرَتَهُ تَعْجِزُ عن مِثْلِ ما أوتيتُما لفعلت، ولكني أرغبُ بكُما عن ذلك وأزويه عنكُما، وكذلكَ أفعلُ بأوليائي، وقديماً ٱدَّخَرْتُ[6] لهم، فإني لأَذُودُهُم عن نَعيمِها ورَخائِها كما يَذودُ الرَّاعي الشفيقُ غَنَمهُ عن مراتع الهلكة، وإني لأجنبُهم سلوتَها وعَيشَها كما

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٣/ ١٦٧) (٤٤٤٣) عن أنس بلفظ: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأسرع شيء إلىٰ نصرة أوليائي، إني لأغضب لهم كما يغضب الليث الحرب، ورواه الحكيم الترمذي عن أنس بزيادة: وما ترددت عن شيء... إلخ الحديث. والحرب: الغضبان.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قول ٱلله تعالىٰ: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] حديث (٢٨٠٦)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب إثبات القصاص في الأسنان وما في معناها حديث (١٦٧٥) وللحديث قصة معروفة، ومعنىٰ أبره؛ أي: أجاب طلبه وقضىٰ أربه.

(٣) ينيبون: يُقبلون ويَتوبُون.

(٤) يكلفون: أي يحبون ويولعون.

(٥) رواه أحمد في الزهد ص (٩٥)، وٱبن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٧١) (٣٤٢٧٥). (ز)

(٦) كذا في أحاسن المحاسن، وفي صفة الصفوة: خرت. (ز)

يُجنبُ الراعي الشفيقُ إبلَهُ عن مبارك العُرَّة[1]، وما ذلك لهوانهم عليَّ؛ ولكن ليستوفوا نصيبهم من كرامتي سالماً مُوفراً لم تُكْلِمْهُ الدنيا ولم يُطغِه الهوىٰ، وأعلم أنه لم يتزينِ العبادُ بزينةٍ أبلغَ فيما عندي من الزهدِ في الدنيا، فإنها زينةُ المتقين، عليهم منها لباسٌ يُعرفونَ بِهِ مِنَ السَّكِيْنَةِ والخُشوع، سِيْماهُم في وُجوهِهِم من أثَرِ السُّجودِ، أولئكَ هُمْ أوليائي حقّاً حقّاً، فإذا لقيتَهُم فاخفِض لهم جناحَك، وذَلِّلْ لهم قلبَك ولسانَك، واعلم أن من أهانَ لي ولياً أو أخافَهُ فقد بارَزني بالمُحارَبَةِ وباداني[2]، وعَرَضَ لي نَفْسَهُ ودعاني إليها، وأنا أَسْرَعُ شيء إلىٰ نُصْرَةِ أوليائي، أفيظُنُّ الذي يحاربني أن يقومَ إليّ، أو يَظُنُّ الذي يعاديني أن يُعجزني، أو يَظُنُّ الذي يبارِزُني أن يَسبقني أو يفوتني؟ كيف وأنا الثائر لهُم في الدنيا والآخرة، لا أَكِلُ نصرتَهُم إلىٰ غيري»[3].

وعن وهب أيضاً قال: قال الحواريونَ: يا عيسىٰ من أولياءُ ٱلله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال: «الذين نَظَروا إلىٰ باطنِ الدُّنيا حين نَظَرَ الناسُ إلىٰ ظاهرها، والذين نظروا إلىٰ آجِلِ الدُّنيا حين نَظَرَ الناسُ إلىٰ عاجلها؛ فأماتوا منها ما خَشُوا أن يُميتَهُم، وتَرَكوا ما عَلِمُوا أن سَيَتْرُكَهُم، فصارَ ٱستكثارُهُم منها ٱسْتِقْلَالاً وذِكْرُهُم إيَّاها فَواتاً، وفرحُهُم بما أصابوا منها حُزْناً، فما عارضَهُم من نائلها رَفَضُوه، أو من رِفعتها بغير الحَقِّ وَضَعُوه، خَلِقَت[4] الدُّنيا عندَهُم فليسوا يُجَدِّدونها، وخَرِبَتْ بينَهُم فلَيْسوا يَعْمُرونها، وماتَتْ في صُدورِهِم فليسوا يُحيونها، يَهدِمونَها فيبنونَ بها آخرتَهُم، ويَبيعونَها فيشتَرونَ بها ما يبقىٰ لهم، رَفضوها فكانوا برفضها فَرِحين، وباعوها فكانوا

---

(١) العرة بضمها: الجرب، والعر بالضم قروح مثل القوباء فتخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل منها مثل الماء الأصفر، فتكوىٰ الصحاح لئلا تعديها المراض، كذا في شرح القاموس (٣/ ٣٩٠).

(٢) وفي صفة الصفوة: باراني.

(٣) كذا في صفة الصفوة (١/ ٤١) ورواه أبو نعيم في الحلية (١/ ١١) عن عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه.

(٤) خلقت: من خَلِقَ محركاً، أي: بَلِيَ.

ببيعها رابحين، نظروا إلىٰ أهلها صَرْعىٰ قد حَلَّتْ بهم المَثُلات[1]، فأَحْيَوا ذِكْرَ المَوْتِ وأماتوا ذِكْرَ الحَياة، يُحِبُّونَ ٱللهَ ويُحِبُّونَ ذِكرَهُ ويَستضيئونَ بنُوْرِه، لَهُمْ خَبَرٌ عَجيب، وعِنْدَهُمُ الخَبَرُ العَجيب، بِهِمْ قامَ الكتابُ وبِهِ قاموا، بِهِمْ نَطَقَ الكتابُ وبِهِ نَطَقوا، وبِهِمْ عُلِمَ الكتابُ وبِهِ عُلِموا، فلَيْسوا يَرَونَ نائلاً مَعَ ما نالوا، ولا أماناً دُونَ ما يَرجون، ولا خَوفاً دُونَ ما يَحْذَرون»[2].

عن كعب رحمة ٱلله عليه قال: لم يزل في الأرض بعد نوح عليه السلام أربعةَ عَشَرَ يُدفَعُ بهم العذاب[3].

وقال ٱبن عيينة: عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالحينَ تَنزِلُ الرَّحمة.

قال محمد بن يونس: ما رأيتُ للقَلْبِ أَنفَعَ مِنْ ذِكْرِ الصَّالحين.

* * *

(١) المَثُلات: جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء وسكونها، وهي: التنكيل والعقوبة.

(٢) رواه أحمد في الزهد (٧٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٠) عن وهب بن منبه.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٠)، ويشهد له حديث رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٣٤٥)(٦٣٩١)، والطبراني في الأوسط (٧/ ٢٧٦)(٦٥٣٥) وهو قوله ﷺ: «لولا عبادٌ لله رُكَّع، وصبيةٌ رُضَّع، وبهائم رُتَّع، لَصُبَّ عليكم العذاب صَبّاً، ثُمَّ رُضَّ رُضّاً». (ز)

(فَضْلُ الذِّكْرِ وآدابه وكيفياته)

فَضْلُهُ:

الذِّكْرُ رُكْنٌ قويٌ في طريق الحَقِّ سبحانهُ وتعالىٰ، بل هو العُمدَةُ في هٰذا الطريق، ولا يَصِلُ أحدٌ إلىٰ ٱلله إلاَّ بدوام الذِّكر.

والذِّكْرُ علىٰ ضَرْبين: ذِكْرِ اللِّسان، وذِكْرِ القَلْب، فذِكْرُ اللِّسانِ: بِهِ يَصِلُ العَبْدُ إلىٰ ٱستدامَةِ ذِكْرِ القَلبِ، والتأثيرُ لذِكْرِ القَلْب، فإذا كانَ العَبْدُ ذاكِراً بلسانِه وقَلْبِه فهو الكاملُ في وَصْفِه في حال سلوكِه.

ويقول الأستاذ أبو عليٍّ الدقاق: الذِّكرُ مَنْشورُ الولاية، فمن وُفِّقَ للذِّكْرِ فقد أعطي المنشور، ومن سُلِبَ الذِّكْرَ فقد عُزِل.

وقيل: ذكرُ ٱلله بالقلبِ سيفُ المريدين، به يقاتلونَ أعداءهم، وبه يدفعونَ الآفاتِ التي تَقْصِدُهُم، وإن البلاءَ إذا أظَلَّ العبدَ؛ فإذا فَزِعَ بقلبِه إلىٰ ٱلله تعالىٰ يُحيدُ عنه في الحال كُلَّ ما يكرهه.

وسئل الواسطي عن الذِّكرِ فقال: الخروجُ من مَيدان الغَفلةِ إلىٰ فضاءِ المُشاهدَةِ علىٰ غلبَةِ الخوفِ، وشِدَّةِ الحُبِّ له.

وقال ذو النون المصري: من ذَكَرَ ٱلله تعالىٰ ذكراً علىٰ الحَقيقةِ نَسِيَ في جَنْبِ ذِكْرِهِ كُلَّ شيءٍ، وحَفِظَ ٱللهُ تعالىٰ عليه كُلَّ شيءٍ، وكانَ لَهُ عِوَضاً عَنْ كُلِّ شيء.

وقال: سمعتُ عبد ٱلله المعلم يقولُ: سمعتُ أحمد المسجدي يقولُ: **سُئِلَ أبو عثمان فقيل له**: نحنُ نَذكرُ ٱلله تعالىٰ ولا نَجِدُ في قلوبنا حلاوةً؟ **فقال**: احْمَدُوا ٱللهَ تعالىٰ علىٰ أن زَيَّنَ جارحةً من جوارحكم بطاعَتِه.

ويقول الشبلي: أليس تعالىٰ يقول: أنا جليسُ من ذكَرني؟[1] ما الذي ٱستفدتم من مجالسَةِ الحَقِّ سُبحانه؟.

---

(١) رواه ٱبن أبي شيبة في مصنفه (١/ ١٠٨)(١٢٢٤)، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٥١)(٦٨٠) وهو حكاية عن مكالمة موسى ـ عليه السلام ـ ربه. (ز)

ومن خصائصه: أنَّه غيرُ مؤقت، بل ما من وقتٍ من الأوقاتِ إلاَّ والعبدُ مأمور بذكر ٱلله إمَّا فَرْضاً، وإما نَدْباً، والصلاةُ وإن كانت أشرفَ العباداتِ فقد لا تجوز في بعض الأوقات، والذِّكْرُ بالقَلْبِ مُستدامٌ في عموم الحالاتِ، قال ٱلله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

قال الإمام القشيريُّ: سمعتُ أبا عبد الرحمٰن يسألُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقاق فقال: الذِّكرُ أتمُّ أم الفِكرُ؟ فقال الأستاذ أبو علي: ما الذي يقول الشيخ فيه؟ فقال أبو عبد الرحمٰن: عندي الذِّكْرُ أتَمُّ مِنَ الفِكرِ، لأنَّ الحَقَّ سُبحانَهُ يُوصَفُ بالذِّكْرِ، ولا يُوصَفُ بالفِكْر، وما وُصِفَ به الحَقُّ سُبحانَهُ أتَمُّ ممَّا ٱخْتُصَّ به الخلقُ، فٱسْتَحْسَنَه الأستاذ أبو علي رحمه ٱلله.

ومن خصائِص الذِّكْر: أنَّهُ جُعِلَ في مقابلَتِه الذِّكْرُ من ٱلله، قال ٱلله تعالىٰ: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قال سهل بن عبد ٱلله: ما من يومٍ إلاَّ والجليلُ سبحانه ينادي: يا عبدي ما أنصفتَني، أذكُرُكَ وتَنْساني، وأدعوكَ إليَّ وتذهَبُ إلىٰ غيري، وأُذْهِبُ عَنْكَ البَلاَيا وأنتَ مُعْتَكِفٌ علىٰ الخطايا، يا بْنَ آدم؛ ما تقولُ غَداً إذا جئتَني؟.

وقال أبو سليمان الداراني: إنَّ في الجنةِ قِيعاناً، فإذا أخذَ الذَّاكرُ في الذِّكْرِ أخذتِ الملائكَةُ في غَرْسِ الأشجار فيها، فربُّما يَقِفُ بعضُ الملائِكَةِ فيقالُ لَهُ: لِمَ وَقَفْتَ؟ فيقولُ: فَتَرَ صاحبي.

وقال الحسن: تَفَقَّدوا الحلاوةَ في ثلاثةِ أشياءَ: في الصَّلاةِ، والذِّكْرِ، وقراءَةِ القرآنِ، فإن وَجَدْتُم؛ وإلاَّ فٱعلموا أنَّ البابَ مُغلق.

وقال الثوري: لِكُلِّ شَيءٍ عُقوبةٌ، وعُقوبةُ العارِفِ باللهِ ٱنقطاعُه عَنِ الذِّكْرِ.

* * *

(آدابُ الذِّكْرِ وشروطه)

كُلُّ ما يُروىٰ من الشُّروطِ والآداب كُلِّها عن القوم في العبادات، إنما هي ٱلتزاماتٌ مما لا يَلزَمُ أصلاً، إلا أنه لَمَّا كانَ أهلُ الدنيا ضبطوا أمر دنياهم، ورَتَّبوا فيها لأنفسِهم أموراً مُكَمِّلةً لأغراضِهم ومُتَمِّمَةً لأهوائهم، كذلك أهل الآخرة ضبطوا أحوالهم في وجهتهم إلىٰ ٱلله تعالىٰ بأمور مكملةٍ لمقاصدهم، ومتممة لأحوالهم، ولكل فريق شِرْبٌ معلوم ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾، وكيف يكون ذلك ملتزَماً أصلاً، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] فما كان من الشروط والآداب، فإنما هو علىٰ جهة الكمال لا علىٰ جهة اللُّزوم، فمن ٱستدامَ ذكرَ ٱلله على أي حالٍ كان، وبأي وجهٍ أمكن، ٱبتغاءَ فضل ٱلله ومرضاته، لا بُدَّ من نُجْحِه وظَفَرِه بالمقصود، إلا أنه مع الشروطِ والآداب أسرعُ للنُّجْحِ، وأولىٰ للفضلِ، والشُّروطُ كُلُّها، والآداب كُلُّها منحصرةٌ في خمسةِ شروطٍ، وخمسةِ آداب.

أمَّا الشُّروطُ فآكَدُها الذي عليه يَنْبني أساسُها: المَقْصِدُ، لأن المقاصدَ هي أرواحُ الأعمال، ولا يستقيمُ عَملٌ لا رُوحَ له، فلا بُدَّ من إحضار قَصْدٍ بَيْنَ الذِّكرِ يَنبني عليه الفِكْرُ وبمَعنىٰ القَصْدِ أثناءَ الذِّكْرِ تكونُ قُوَّةُ التأثير في النَّفْسِ، والمقاصِدُ تَخْتَلِفُ باختلافِ الأذكار.

الثاني الذي يلي الأولَ في التأكيد؛ المُجاهدةُ في مدافعةِ الخواطِرِ عن الفِكرِ المغايرةِ لمعنىٰ الذِّكرِ وَرَدِّها علىٰ حَسَبِ الإمكانِ، لتَصفوَ مرآةُ النَّفسِ لتلمَحَ معنىٰ الذِّكرِ، لأنها لا تَختلجُ في الفكرِ معاني الذِّكرِ حتىٰ يغيبَ عن الحِسِّ، إذ من الحواس تَستَمِدُّ موادَ مألوفاتها ومعلقاتها، فعلىٰ قَدرِ الخروج عن شواغل الحِسِّ يكونُ خَرقُ حجابِ الغفلة، فإن سبيلَ النجاةِ من ذلك المجاهدةُ في مدافعةِ الخواطر، فإن لم تذهب عنه بالجملة فستذهبُ شيئاً فشيئاً حتىٰ لا يبقىٰ منها أثر.

الثالث: التَّوجُّهُ للذِّكرِ علىٰ طَهارَةٍ، لأن المُتَوَجِّهَ إلىٰ ٱلله بذِكْرٍ؛ ينبغي أن يكونَ علىٰ أكملِ الأحوالِ وأشرَفِها، فقد وَرَدَ عَنهُ ﷺ: أنَّ رَجُلاً سَلَّمَ عليه،

وأتىٰ ﷺ جدارَ قَوْم فتيمَّمَ عليه، ثُمَّ رَدَّ السلام، فقيل له: لِمَ ذلك؟ فقال: «كَرِهْتُ أن أَذْكُرَ ٱسْمَ ٱللهِ علىٰ غيرِ طهارَةٍ»(١)، أشارَ عليهِ الصَّلاَةُ والسَّلامُ إلىٰ الكمالِ مَعَ ما في الطَّهارَةِ مِنَ السِّرِّ الذي يَعودُ علىٰ الباطِنِ بِصَفاءٍ وتَنوير.

ثُمَّ يَلي شَرْطَ الطَّهارَةِ في الاستعمال

الشَّرْطُ الرَّابعُ: وهو ٱستقبالُ القِبْلَةِ؛ لأنَّ الذَّاكرَ يُناجي رَبَّهُ فينبَغي أن يكون مُنتصباً إلىٰ بيتِ ٱللهِ وحَرَمِه، قال ﷺ: «**خَيْرُ المَجالس ما ٱستُقْبِلَتْ فيه القِبْلَةُ**»(٢) مع ما في التَّوجُّهِ إليها من السِّرِّ الذي يَعودُ بِصَرفِ الباطِنِ إلىٰ رَبِّ العِزَّةِ جَلَّ وعَزَّ، وجَمْعِ الفِكْرِ في مُناجاتِهِ، فهُوَ سِرُّ التَّوجُّهِ إلىٰ القِبْلَةِ في الصَّلاة.

الخامس: خُلُوُّ الذَّاكِرِ برَبِّهِ في حالِ ذِكْرِه، يَقْصِدُ مكاناً خالياً عارياً من الشَّواغِلِ، لما في ذلكَ من تهيئةِ الفكرِ ـ الإقبالِ علىٰ معنىٰ الذِّكْرِ ـ وتهيئةِ الواردِ علىٰ مواردِ الإخلاص، وأسرارِ الاختصاص، وفي ٱنفرادِه ﷺ بغارِ حراءٍ أوَّلَ أَمْرِه دَليلٌ لذٰلِكَ، ولَمْ تَزَلِ الخَلَواتُ مِنْ شأنِ أهلِ العباداتِ والرِّياضات، وقَلَّما يُفتحُ علىٰ سالكٍ فَتحٌ، أو يَلوحُ له سِرٌّ في غَيْرِ الخَلْوةِ، والمُرادُ بالخَلْوةِ هُنا: العُزلَةُ وقتَ تأديةِ ما ٱلتَزَمَهُ من عادَةِ الأَذْكارِ بِحَسَبِ ٱجتهادِه.

وأما الآداب: **فالأولُ منها**: خُلُوُّ الباطِنِ من الطعام الذي يَستحيلُ لُبابُه(٣) دَماً، فيَسري في العُروقِ حتىٰ يَملأَها، فيثقلُ بذلك الجسم، ويكثرُ صعودُ الأبخرةِ إلىٰ الدماغ، فبذلك يكونُ الكسلُ ويَستولي النَّومُ، فعلىٰ قَدْرِ كثرَةِ الأكلِ وقِلَّتِه تَكونُ حياةُ الفِطنةِ وموتُها، قال ﷺ: «**ما ملأَ ٱبنُ آدمَ وعاءً شَرّاً مِن بَطنِه**»(٤) فالأحسنُ للسالِكِ في حالَةِ تَوَجُّهِه للذِّكرِ أن يكونَ علىٰ خلاءٍ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٤٥)(١٩٢٤٣) وفي (٥/ ٨٠)(٢١٠٤٢)، وأبو داود في سننه في كتاب الطهارة، باب أيردّ السّلام وهو يبول (١/ ٥) (١٧). (ز)

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٩/ ١٦٥) (٨٣٥٧) بلفظ: «أكرم المجالس ما ٱستقبل به القبلة»، وفي (٣/ ١٨٣) (٢٣٧٥) بلفظ: «إن لكل شيء سيّداً، وإن سيّد المجالس قبالة القبلة»، قال في المجمع (٨/ ٥٩): إسناده حسن. (ز)

(٣) يستحيل: أي يصير خالص هٰذا الطعام دماً، واللُّبابُ بالضَّمِّ: الخالِصُ، وخالِصُ كُلِّ شَيءٍ لُبُّه. (ز)

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٣٢)(١٧٣١٨) واللفظ له، والترمذي في سننه في كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (٤/ ٥٩٠)(٢٣٨٠)، وٱبن ماجه في سننه في كتاب الأطعمة،

من بَطْنِه، ولا سيَّما أهلُ البدايةِ من أهلِ السُّلوك.

الأدب الثاني: هو الجلوسُ للذِّكْرِ علىٰ هيئةٍ تقتضي الذُّلَّ والخُضوعَ والصَّغارَ لعظمَةِ ٱلله جَلَّ جلاله، إذ هي في هيئةِ الظاهرِ تأثيرٌ في الباطِن بحسَبِ مُقْتضىٰ الهيئَةِ، وذلك لأنَّ النَّفسَ للعلاقَةِ التي بينها وبين الجِسمِ إذا ٱتَّصَفَ الجِسمُ بِصِفَةٍ، ٱتَّصَفَتِ النَّفْسُ بِمُوجِبها، فٱنظر إلىٰ موضعِ الجَبهةِ علىٰ الأرض في السُّجود، وإلىٰ ما يَسري إلىٰ النَّفْسِ بسَبَبِ ذٰلِكَ مِنَ الخُضوعِ والذُّلِّ والانكسار.

الأدبُ الثالث: إغماضُ عينيه، وكَفُّ سمعِه ما أمكنَ، إذ بذلك يُستعان علىٰ جمعِ الفِكر، لتلمحَ معنىٰ الذِّكرِ، إذ الفكرةُ تَتشَعَّب بِتَشَعُّبِ الشواغلِ الواردة عليه من الحواس، فكُلُّ شُعبةٍ من تلكَ الشُّعَبِ تأخذُ طَرَفها من الفِكْرِ علىٰ حسبها، وقد يَكْثرُ ذٰلِكَ فيستغرقُ الفكرَ حتىٰ لا يَبقىٰ منه لتلمحَ معنىٰ الذِّكْرِ، أو تَبقىٰ مِنْهُ نُبذةٌ يَسيرةٌ لا تَفي بالمُرادِ، ولا تَهدي إلىٰ الرَّشاد، ومن أجلِ هٰذا ٱسْتُحِبَّت الخَلْوةُ للذَّاكِرِ، لِيَبْعُدَ عن الشَّواغِلِ، إذ الذَّاكرُ يُناجي رَبَّهُ، فهو حَقيقٌ بحَسْمِ موادِّ الشَّواغِلِ عَنْ فِكْرِهِ، والعَيْنُ أشَدُّ الحَواسِّ شُغلاً مِنَ الفِكْرة.

الأدب الرابع: يُستحسنُ لملتزمِ الأعداد ـ ولا سيما الكثيرةُ كالألفِ وألوفِ الأُلوفِ ـ ٱتخاذُ سبحةٍ يَحْصُرُ بها عددَ ٱلتزامه، ولا يعدلُ عنها إلىٰ الحصر بالأصابع، لما في ذلك من الاشتغال لفكره، إذ ٱتخاذُ السُّبْحَةِ للحَصْرِ سَلامَةٌ مِنْ أشغالِ الفِكْرِ، وداعيةٌ إلىٰ ٱجتماع البال.

وٱعلم؛ أن ٱتخاذَ السُّبحةِ من الأمر المعروف والعملِ المألوف الذي لا ينكر، وقد جاء أن أبا هريرةَ رضي ٱلله عنه كانت له سُبحةٌ من ألفِ عُقدةٍ لا ينام حتىٰ يُتَمِّمَها.

ورُوِيَ أن أبا القاسم الجنيد: كانت سُبحتُه في يدِه، فقيلَ لَهُ: أنتَ مَعَ شرَفِكَ تَحْتاجُ إلىٰ سُبْحَةٍ؟ فقال: شَيْءٌ وَصَلْتُ بِهِ إلىٰ ٱللهِ لا أُفارِقُه.

الأدب الخامس: يَنْبغي لِمُلْتَزِمِ الأَوْرادِ ـ أيضاً دُوْنَ غَيْرِهِ ـ أنْ لا يَقْطَعَ في

= باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع (٢/ ١١١١)(٣٣٤٩) بلفظ: «ما ملأ آدميّ وعاء شرّاً من بطنه». قال الترمذي: هٰذا حديث حسن صحيح. (ز)

أثناءِ وِرْدِه بِكَلاَمٍ أو غَيْرِه، إلاَّ بِعارِضٍ واجبٍ؛ أو كالواجبِ، إذ الذاكرُ متىٰ توجَّهَ لأداء وِرْدِه؛ فهُوَ قادمٌ علىٰ ٱللهِ تَعالىٰ ـ يُخاطبُه ويناجيه ويحاضرُه ـ فقبيحٌ قَطْعُ ذٰلِكَ بعارضٍ؛ والاشتغالُ عنه بشاغلٍ، فكما أنَّ الذَّاكرَ يُطالَبُ بهٰذهِ الشُّروطِ المُتقدِّمَة، والآدابِ علىٰ جِهَةِ الكَمال؛ لا علىٰ جِهَةِ اللُّزومِ، كَذٰلِكَ يَنْبغي أن يَتخيَّرَ لكُلِّ ذِكْرٍ وَقْتَه المَشْروعَ فيه.

ومن الآداب في العباداتِ التي لا ينبغي للمريد إهمالُها: الهروبُ من إظهارِ المعاني التي تَلُوحُ لَهُ، وذٰلِكَ لأنَّ المَعانيَ نُورٌ، وكُلَّما تَراكَمَتِ الأنوارُ في قَلْبِ العَبْدِ تَمكَّنَ وقَوِيَ ٱسْتِمدادُه، وكُلَّما أَظْهَرَ مَعْنىً؛ خَرَجَ النُّوْرُ أَوَّلاً فأَوّلا؛ فَلاَ يَثْبُتُ لَهُ قَدَمٌ في الطَّريق.

ومِنْ كَلاَمِهِمْ: يَجِبُ علىٰ سالكِ طريقَتنا هٰذه؛ تَرْكُ الدَّعوىٰ الصَّادِقَة، وإخفاءُ المعاني الخارِقَة.

ومنها أيضاً: الهروبُ من شُرْبِ الماء عَقِبَ الذِّكْرِ بسرعة، وذٰلكَ لأنَّ الذِّكْرَ يُورثُ حُرْقةً وشَوْقاً إلىٰ المَذْكُورِ الذي هُوَ المَطْلوبُ الأَعْظَمُ مِنَ الذِّكْرِ، والشُّرْبُ عَقِبَ الذِّكرِ يُطفِىء ذٰلكَ.

ومنها: حُضورُ مجالِسِ إخوانِهِ للذِّكرِ؛ لكي يكونَ مِنْ أَهْلِ البَرَكَةِ التي تَنالُهُم مَدىٰ الدَّهْرِ، قالَ ﷺ: **«إذا رَأَيْتُمْ رياضَ الجَنَّةِ فٱرْتَعوا»**، قالوا: وما رياضُ الجَنَّةِ يا رَسُولَ ٱللهِ؟ قالَ: **«مَجالِسُ الذِّكْر»**[1].

وعن **ٱبن عمرو** رضي ٱلله عنهما: **«غنيمةُ مجالِسِ الذِّكرِ الجَنَّة**[2]**»**.

وعن **أبي هريرة رضي ٱلله عنه:** مجالِسُ الذِّكْرِ تَنْزِلُ فيها السَّكينةُ، وتَحُفُّها المَلائِكَةُ، وتَغشاها الرَّحْمَةُ، ويَذْكُرُها ٱللهُ تَحْتَ عَرْشِه.

وعنه أيضاً: **«ما مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرونَ ٱللهَ تَعالىٰ إلاَّ حَفَّتْ بِهِمُ المَلائِكَةُ،**

(١) ذكره بهٰذا اللفظ ٱبن حبان في المجروحين (٢/ ٢٥٢) (٩٢٨)، وعند أحمد في مسنده (٣/ ١٥٠) (١٢٥٥١)، والترمذي في سننه في كتاب الدعوات باب (٨٣)(٣٥١٠) عن أنس بن مالك بلفظ: «إذا مررتم برياض الجنة» وبلفظ: «حلق الذكر»، وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هٰذا الوجه. (ز)

(٢) رواه أحمد في مسنده عن عبد ٱلله بن عمرو مرفوعاً (٢/ ١٩٠)(٦٧٧). (ز)

وغَشِيَتهُمُ الرَّحْمَةُ، ونَزَلَتْ عَلَيهِمُ السَّكينَةُ، وذَكَرَهُمُ ٱللهُ فيمَنْ عِنْدَهُ»[1].

وعن سهيل بن حنظلة: «ما ٱجتمعَ قومٌ علىٰ ذِكرِ ٱللهِ فتفرَّقوا عنه؛ إلا قيلَ لَهُمْ: قوموا مَغْفوراً لَكُم»[2].

ولما فيه أيضاً من التعاونِ علىٰ البِرِّ والتَّقوىٰ المأمور به في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] قال صاحبُ تأسيسِ القواعدِ والأصول:

قاعدةٌ: التعاونُ علىٰ الشيء مُيَسِّرٌ لطلبِهِ، ومُسَهِّلٌ لمَشَاقِّهِ علىٰ النَّفْسِ وتَعَبِهِ، فلِذٰلِكَ أَلِفَتْهُ النُّفوسُ حتىٰ أُمِرَ بِهِ علىٰ البِرِّ والتَّقوىٰ، لا علىٰ الإثْمِ والعُدوان، فَلَزِمَ مُراعاةُ الأوَّلِ في كُلِّ شيءٍ كالثاني.

ومنه: قولُ سيِّدي عبدِ ٱللهِ بن عبَّاد رحمه ٱلله: أُوصيكُمْ بِوَصِيَّةٍ لا يَعقِلُها إلا مَنْ عَقَلَ وجَرَّبَ، ولا يُهمِلُها إلاَّ مَنْ غَفَلَ فحُجِبَ؛ وهي: لا تأخذوا في هٰذا العِلْمِ مع تَكَبُّرٍ[3]، ولا صاحبِ بدعةٍ، ولا مُقَلِّدٍ؛ فأما الكِبْرُ: فطابعٌ يمنعُ من فَهمِ الأياتِ والعِبَرِ.

والبِدْعةُ: تُوقِعُ في البَلايا الكُبرىٰ.

والتَّقْليدُ: يَمنعُ من بُلوغِ الوَطَرِ، ونَيلِ الظفر.

قال: ولا تجعلوا أهلَ الظاهرِ حُجَّةً علىٰ أهل الباطن.

وقال أيضا: كُلُّ باطنٍ مُجردٍ عن الظاهرِ باطلٌ، والحَقيقةُ ما عُقِدَ بالشريعة؛ فافهم.

* * *

---

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن والذكر (٢٦٩٩) و(٢٧٠٠) مع زيادة واختلاف في بعض الألفاظ، ورواه أيضاً الترمذي في سننه في كتاب القراءات باب (١٢) (٥/ ١٩٥ ـ ١٩٦)(٢٩٤٥) والحديث طويل وهٰذا قطعة منه، وأحمد في المسند (٣/ ٣٣)(١١٣٠٧) و(٢/ ٤٤٧)(٩٧٧١). (ز)

(٢) وعند أحمد في مسنده (٣/ ١٤٢)(١٢٤٨٠) بلفظ: «ما من قوم ٱجتمعوا يذكرون ٱلله لا يريدون بذلك إلا وجهه؛ إلا ناداهم مناد من السماء: أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات»، وأبو يعلىٰ في مسنده (٧/ ١٦٧)(٤١٤١)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٣٤)(١٥٧٩). (ز)

(٣) لعلها: مع مُتَكَبِّرٍ. (ز)

(آداب الأخوة في ٱلله)

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

اعْلَـمْ؛ أن أُخـوَّةَ الإسلام أقوىٰ من أُخوَّةِ النَّسَبِ، بِحَيْثُ لا تُعْتَبَرُ أُخُوَّةُ النَّسَب إذا خَلَت عن أُخُوَّةِ الإسلام، ألا تَرىٰ أنَّهُ إذا ماتَ المُسْلِمُ، ولَهُ أَخٌ كافِرٌ يكونُ مالُهُ للمسلمين؛ لا لأخيهِ الكافِرِ، وكذا إذا ماتَ أخوهُ الكافر؛ وذلك لأنَّ الجامعَ الفاسِدَ لا يُفيدُ الأُخُوَّةَ، وأنَّ المُعتبرَ الأصلي هو الجامعُ الشرعي.

ومن حَقِّ **الأُخُوَّةِ في الدِّينِ**: أن تُحِبَّ لأخيكَ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، ويَسُرَّكَ ما يَسُرّهُ، ويَسُوءَكَ ما ساءَهُ، وأن لا تُحْوِجَهُ إلىٰ الاستعانَةِ بكَ، وإن ٱستعانَ تُعِنْهُ، وتَنصُرْهُ ظالماً أو مَظلوماً، فمَنعُكَ إيَّاهُ مِنَ الظُّلْـمِ؛ فَذٰلكَ نَصْرُكَ إيَّاهُ، وفي الحديث: «**المُسْلِمُ أخو المسلم، لا يَظلِمهُ، ولا يَشْتمهُ، ومن كانَ في حاجةِ أخيه؛ كان ٱلله في حاجتِه، ومن فَرَّجَ عن مُسْلِم كُرْبَةً، فَرَّجَ ٱللهُ عَنْهُ بها كُرْبَةً من كُرباتِ يوم القيامَةِ، ومن سَتَرَ مُسْلماً سَتَرَهُ ٱللهُ يومَ القيامة**[1]».

ومن حَقِّهِ: أن لا تُقَصِّرَ في تَفَقُّدِ أحوالِه، بحيثُ يُشْكِلُ عليكَ موضعُ حاجتِه، فيحتاجُ إلىٰ مسألَتِكَ، وأن لا تُلْجِئَهُ إلىٰ الاعتذارِ، بَلْ تَبْسُطُ عُذْرَهُ، فإن أشكلَ عليك وَجهُه؛ عُدْتَ باللائمةِ علىٰ نفسك في خَفاءِ عُذْرِه، وتتوبُ عنه إذا أذنب، وتعودُه إذا مرض، وإذا أشارَ إليكَ بشيءٍ؛ فلا تُطالِبْهُ بالدَّليلِ وإيرادِ الحُجَّةِ كما قالوا:

لا يَسْأَلونَ أخاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ ... في النائباتِ علىٰ ما قالَ بُرهانا[2]

وقالوا:

إذا ٱسْتُنجِدُوا لَمْ يَسْأَلوا مَنْ دَعاهُمُ ... لأيَّةِ حَرْبٍ أمْ بأيِّ مَكَانِ

وٱستنجد: ٱستعان.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٨٠) بلفظ: «لا يسلمه» بدل «لا يشتمه». (ز)

(٢) هٰذا البيت لصَفِيّ الدِّين الحِلِّيّ. (ز)